بسم الله الرحمن الرحيم

المحاضرة (٣)

مادة: المدخل إلى علم الاجتماع

الفرقة الأولى

كلية التربية

شعبة التعليم الأساسي (دراسات اجتماعية)

الفصل التاسع

النظم الاجتماعية

(ماهيتها - خصائصها - أشكالها)

تعددت التعريفات التى تناولت مصطلح النظم الاجتماعية، وعلى الرغم من انتشار هذا المصطلح بين دراسات علمى الاجتماع والأنثروبولوجيا إلا أن العلماء لم يتفقوا بعد على تعريف جامع مانع لهذا المصطلح الأمر الذى أدى إلى تعدد تعريفاته وتفاوت هذه التعريفات بين البساطة والتعقيد. غير أن النظام الاجتماعى لا يخرج عن كونه نسق يربط بين أجزاء المجتمع بعضها ببعض كما يربط تلك الأجزاء فى الوقت نفسه بالمجتمع بطريقة مقصودة تتمثل فى الوظائف التى تؤديها الأجزاء المتعددة نفسها، وهذه الوظائف تتجه أساسا إلى إرضاء عدد من الدوافع الإنسانية، نفسية وجسمية، فهى نفسية كتلك التى تدفعنا إلى الأمن، وجسمية كتلك التى تدفعنا إلى الطعام والمأوى والجنس. وعلى الرغم من قلة هذه الدوافع -كما يلاحظ- إلا أن وسائل إشباعها أو إرضائها متعددة ومتشعبة، وفيما يلى سنعرض بعض تعريفات النظم الاجتماعية.

أولا: تعريف النظام الاجتماعى:

يرى (جيلين و جيلين) أن النظم الاجتماعية هى الأنساق المنظمة الدائمة نسبيا للتصرف والاتجاهات - والأغراض والأشياء المادية والرموز والمثل التى توجه أغلب نواحى الحياة الاجتماعية.

- ويرى (موريس جنزبرج) أن النظم الاجتماعية هى الأساليب الموضوعية المعترف بها والتى تحكم العلاقات بين الأفراد والجماعات.

- ويرى (بارنز) أنها تمثل البناء الاجتماعى والآلة التى تنظم المجتمع الإنسانى وتوجه وتنفذ وجوه النشاط المتعدد التى يتطلبها تحقيق الحاجات الإنسانية.

- ويعرفها (روبرت ماكيفر) بأنها - أى النظم الاجتماعية - الصور والأشكال الثابتة التى يدخل الناس بمقتضاها فى علاقات اجتماعية.

- ويصيغها (وليام أو جيرن) بأنها الطرق التى ينشئها وينظمها المجتمع لتحقيق حاجات إنسانية ضرورية.

- أما (البرت ستيوارد) فقد عرف النظام الاجتماعى بأنه نمط منظم من السلوك والأفكار والعادات صمم من أجل مقابلة احتياجات أساسية للمجتمع.

وبالنظر إلى التعريفات السابقة وما يتضمنه من اختلاف فى ألفاظها أو صياغتها، إلا أنها جميعا تؤكد أن النظام الاجتماعى عبارة عن مجموعة من الأساليب المقررة والمقننة للسلو ك الاجتماعى كما يشير مفهوم النظام الاجتماعى بوجه عام إلى كل ما هو قائم وثابت ومنظم فى المجتمع.

وتؤثر النظم الاجتماعية فى كثير من جوانب حياتنا فهى تشكل سلوكنا فى الحاضر وآمالنا فى المستقبل بما تقرضه على أفراد المجتمع من الالتزام بها وصولا لإشباع حاجاتهم، ويتمتع كل نظام من النظم الاجتماعية بدرجة

من التماسك على الرغم من وجود بعض عوامل التفكك الاجتماعى داخل هذا النظام .

كما يرتبط كل نظام اجتماعى بغيره من النظم الاجتماعية المختلفة، وتختلف النظم الاجتماعية من حيث عددها وتباين درجة تخصصها من مجتمع لآخر ومن فترة زمنية لأخرى.

ومثالنا على ذلك المجتمع الحديث وما يميزه من تخصصات قياسا بالمجتمع فى الفترات التاريخية الماضية، بمعنى أن التخصص الشديد فى المجتمع فى الوقت الحاضر والتى يدور كل منها - أى النظم الاجتماعية - حول مشكلة محددة من مشكلات الحياة الاجتماعية كتأمين الغذاء، والمأوى، وحفظ النظام، وإعداد النشء فى المشاركة فى شئون المجتمع .... الخ، فالنظم الاجتماعية تساعد البشر فى التعامل مع هذه المشكلات المتعددة والأساسية، ومن ثم فإن النظم الاجتماعية تساعد على حل المشكلات التى تواجه الإنسان فى حياته الاجتماعية.

ثانيا : خصائص النظم الاجتماعية:

من التعريفات السابقة للنظام الاجتماعى يتضح لنا أن لكل نظام اجتماعى وظيفة ويتسم بدرجة من النسبية والاستمرار محققا لعدد من الأهداف الواضحة أو الغايات التى ينشدها هذا النظام وفيما يلى نوضح أهم خصائص النظم الاجتماعية:

١ - يؤدى النظام الاجتماعى وظيفة فى الحياة الاجتماعية وذلك من منطلق أن المجتمع يعترف بهذا النظام ويقره، كما أنه يخضع

لمعايير راسخة وقيم ثابتة يؤمن بها المجتمع ويتمسك بها أشد التمسك. بمعنى أنه يقوم بوظيفته كوحدة فى النسق الحضارى ككل، ذلك لأنه لا يخرج عن كونه تنظيما لنماذج التفكير والتصرف التى تظهر خلال النشاط الاجتماعى وما يتصل به من إنتاج مادى، وهو بالتالى عبارة عن تجميع القواعد الاجتماعية السائدة فى المجتمع والتى تتكون من العادات والتقاليد والقيم والصفات الأخلاقية، كوحدة وظيفية.

٢ - كما يتسم النظام الاجتماعى كذلك بدرجة من الا ستمرار والدوام فأنساق العبادة مثلا وطرق العمل وغيرها لا تصبح نظاما إلا بعد أن تصل إلى مرحلة القبول بصفة عامة خلال فترة زمنية مناسبة، فعلى سبيل المثال أن نظام الزواج الذى نراه فى مجتمعنا هذه الأيام وكذا نظام الملكية الفردية وغيرها من مختلف الأنظمة الاجتماعية لم تكن فى الماضى بنفس الصورة التى هى عليها الآن، إلا أن المرحلة الطويلة التى مارس فيها الناس هذا النظام قبل ان يصبح نظاما معترفا به اجتماعيا وموافقا عليه من أفراد المجتمع هى التى ساعدت على إقراره وتطوره من فترة زمنية لأخرى، ومن هذا المنطلق يمكننا القول أن أى نظام لابد أن يكون قد مر قبل إقراره بفترة زمنية معينة يمكن اعتبارها فترة تعويد وتمرين على ممارسة هذا النظام. وقد يستمر النظام الاجتماعى لفترات زمنية طويلة تصل إلى عشرات القرون كما هو الحال بالنسبة للنظم الدينية والزواج والملكية على سبيل المثال. وقد يندثر بعد فترة أو مرور الوقت كما هو الحال بالنسبة للنظام الإقطاعى أو السخرة الذى ساد فى المجتمع المصرى فترات طويلة من الزمن ثم اندثر

فـى نـهايـات القـرن التاسـع عشـر، وكـذلك كـان سـائد فـى الـدول الأوربيـة فـى القـرون الوسـطى، أو نظـام الطوائـف الحرفيـة الـذى كـان معمـولاً بـه فـى مصـر أيضـا حتـى نـهايـة القـرن التاسـع عشـر، وخلاصة القول أنـه علـى الـرغم مـن ظهـور نظـم أو انـدثار أخـرى فإنهـا مـا بـين هـذا وذلـك فأنها تستمر لفترات طويلة نسبيا.

٣ - إن إى نظام اجتماعى لابد وأن يخدم هدف أو يحقق مجموعـة مـن الأهـداف مهمـا كانـت بسـاطة هـذا النظـام، لأن النظـام الاجتمـاعى وجـد لإشـباع حاجـات الأفـراد فـى المجتمـع، بمعنى أنه يمكن أن يحقق اكثـر مـن هـدف وعليـه يمكـن القـول بـأن أى نظـام اجتمـاعى لـه هدفا أو عددا من الأهـداف الواضـحة، إلا أن هـذا الهـدف كثيـرا مـا يتعـارض بمـرور الـزمن مع الوظيفة التى يؤديها، والمثال على ذلك " نظام الرق" حيـث كـان يهـدف فـى أول أمـره إلى الحصول على الأيدى العاملة الرخيصة ولكنه لم يعد يهدف إلى ذلـك فيمـا بعـد حـين أصبح هذا النظام مكلفا من هذه الناحية .

٤ - تتميز النظم الاجتماعيـة بجمودهـا نتيجـة لمـا تتميـز بـه مـن اسـتقرار ودوام لفتـرة طويلـة مـن الزمن حتى أنها فى بعض الأحيان تكاد تتحول إلى ما يشبه الطقوس، ولـهذا الجمـوع أثـره فيما تتميـز بـه الـنظم الاجتماعيـة مـن صـعوبة التغيـر، حتـى أنهـا تقـف دائمـا عقبـة أمـام هـذا التغير سواء كان يتجه بها إلى التقدم أم التأخر.

٥ - تعتبـر الـنظم الاجتماعيـة مـن عوامـل التوافـق بـين الأجـزاء المختلفـة للحضـارة ككـل، فهـى تميل دائما إلى التوحيد بين أجزاء النظام الاجتماعى الكلى، وتتميز بأنها غير مستقلة عن بعضها، وإنما على العكس

من ذلك فهى ترتبط ببعضها فى نسق حضارى موحد. وذلك حين نجد أن كل نظام فى النسق يميل إلى مساندة النظام الآخر، فالخطبة مثلاً تسبق الزواج وتسانده، وهذا بدوره يسبق الأسرة ويساندها، وبذلك نجد أن النظم الثلاثة ترتبط ببعضها وتعتمد أيضا على بعضها، علاوة على أننا نجد نظام الأسرة يرتبط بالنظم الاقتصادية السائدة فى المجتمع رعوية كانت أو زراعية أو صناعية، والنظم الاجتماعية بذلك تتميز بأنها تعمل فى الوقت نفسه على الاستقرار الاجتماعى فى المجتمع.

ثالثا : أشكال النظم الاجتماعية:

فيما يلى يمكننا أن نميز بين الأشكال الآتية للنظم الاجتماعية:

١ - نظم تلقائية ونظم مقننة :

والأولى هى تلك التى نشأت دون قصد أو وعى استجابة للقيم الخلقية السائدة، ويمكن أن نمثل لهذا النوع بنظم الزواج والدين والملكية وهى التى نشأت أصلا لتنظيم نواح خلقية معينة. أما النظم المقننة فتتميز بأنها جاءت نتيجة تنظيم واع ومقصود لتحقيق أهداف معينة كنظم التعليم والصناعة، وأغلب النظم الاقتصادية كالادخار والتأمين والمصارف.

٢ - نظم أساسية ونظم مساعدة أو فرعية :

والأول هى التى نشأت لتحقيق الضبط فى المجتمع، وفى مجتمعنا الذي نعيش فيه نجد من هذا النوع نظما كالملكية الفردية والدولة والدين، وحيث لا يمكن للمجتمع أن يعيش بدونها. وأما النظم المساعدة أو الفرعية فتقل أهميتها للمجتمع كثيرا عن الأولى كالنظم الترفيهية بأنواعها

ويتوقف اعتبار النظام أساسيا أو فرعيا على الحضارة السائدة والتى هو جزء منها بأنواعها فما هو ضرورى فى حضارة معينة قد لا يكون كذلك فى حضارة أخرى، فالنظم التعليمية مثلا تختلف أهميتها من مجتمع لآخر حتى فى وقتنا الحاضر، ونظام السيرك كانت له أهميته في روما القديمة تختلف تماما عن أهميته فى روما الحاضرة.

٣ - نظم مشروعة ونظم غير مشروعة :

فالنظم التى تتعلق بطرق العمل المختلفة صناعية وزراعية وتجارية تعتبر نظما مشروعة ومتفقا عليها، بينما نجد هناك نظما تتميز بعدم شرعيتها كنظام البغاء فى مجتمعنا وفى كثير من المجتمعات الأخرى، وكذلك الحال فى نظم كالتهريب والرشوة والقمار. وتتميز

أغلبية النظم فى المجتمعات الموفقة فى أداء وظيفتها بأنها مشروعة، وإن كان إى مجتمع لا يخلو فى العادة من انحرافات غير مشروعة تنبثق عن النظم المشروعة. وتعتبر خروجا على القيم الخلقية السائدة فى المجتمع ويجب أن نميز هنا بين هذه القيم وبين القيم السائدة بين

أجزاء النظام غير المشروع كتلك القيم التى تتعلق بشرف المهنة مثلا عند طبقة اللصوص أو طبقة المهربين.

٤- نظما عامة الانتشار ونظما محدودة الانتشار :

ويمكننا أن نميز بين هذين النوعين بمدى انتشار كل منهما بين أفراد المجتمع ، فالدين فى مجتمعنا مثلا وفى أغلب المجتمعات الإنسانية إن لم يكن كلها يعتبر نظاما عاما لا محدودا لارتفاع نسبة الأشخاص

الـذين يـدخلون فـى نطاقـه، بينمـا يعتبـر الكشـافة نظامـا ينتسب إليه سوى فئة ضئيلة من السكان.

٥ - نظم عاملة ونظم ضابطة :

وتتميز النظم العاملة بأن وظيفتها الأساسية هى تنظيم نماذج التصرف التى تعتبر

ممارستها ضرورية لتحقيق ما يسعى إليه النظام من أهداف، بل لبقائه أيضا كالنظم الصناعية مثلا، بينما تتميز النظم الضابطة بأنها وجدت لضبط عدد من العادات ونماذج التصرف التى لا تعتبر فى حد ذاتها جزءا من النظام نفسه كما هو الحال فى النظم القانونية ، وحيث لا

تحتل الجرائم والمخالفات جزءا من النظام القانونى وذلك بعكس العمليات الصناعية التى تنظمها النظم الصناعية التى هى فى الوقت نفسه جزء من النظام.

- النظم اجتماعية البارزة فى المجتمع :

تبدو أهمية أى نظام اجتماعى فى مدى ما يقوم به من نشاط والوظائف التى يؤديها. ولقد وجد كل نظام ليؤدى وظيفة أساسية، فوجد النظام الزراعى لإنتاج الغذاء والملبس من الأرض، ووجدت الأسرة لتربية الصغار، والدولة لتحكم، والنظام الدينى للعبادة

وعلى ذلك فالوظيفة الأساسية لأى نظام هى التى تحدده وتميزه وتبرز أهميته.

ولما كانت رغبات الإنسان متعددة ونشاطه متنوعا لتحقيق هذه الرغبات أصبح محتاجا لعدد كبير من هذه النظم لكى يتمكن من تحقيق رغباته، ولكننا مع ذلك يمكننا أن نجمل النظم الاجتماعية الهامة فى حياة الإنسان فى النظم الأربعة الرئيسية الآتية، وهى هنا مجرد نظم رئيسية نظرا لما ينبثق عنها من نظم فرعية كثيرة العدد فى العادة مثل ذلك العدد الكبير من النظم الذى يتفرع من النظام الاقتصادى مثلا. والنظم الأربعة الرئيسية هى:

١ - النظم اقتصادية:

وحيث نجد أن كل مجتمع إنسانى فى حاجة إلى نظم اقتصادية لسد حاجة أفراده المتشابكة والتى لا يمكن أن تتحقق إلا عن طريق هذه النظم، فإنتاج السلع والمواد المختلفة التى يحتاج إليها أفراد الجماعة ركن هام فى النظام الاقتصادى، إلا أنه ليس أهم الأركان، إذ أن استخدام فنون الصناعة فى زيادة الإنتاج لا يفى وحده بإقامة اقتصاد المجتمع، بل لابد من اعتبار لتوزيع الإنتاج توزيعا منظما عادلا أيضا بين أفراد الجماعة. وتتمثل النظم الاقتصادية فى المجتمع الحديث فيما وضعه المجتمع لنفسه من نظم صناعية وزراعية وتجارية متنوعة تقوم على سد احتياجات الإنسان من هذه النواحى .

وكانت هذه النظم فى الأزمنة القديمة محدودة إلى درجة كبيرة، بل لقد كان أغلبها يتركز فى الأسرة، والنظام الاقتصادى من أهم النظم التى تشكل المجتمعات الحديثة، وأصبح النظام بذلك مجالا لتدخل الدولة ورقابتها

لحماية مصالح الناس وحقوقهم، وخاصة فيما يتعلق بعدالة التوزيع وعدم الاستغلال والملكية والتعاقد.

٢ - النظم الاجتماعية:

التى تتركز حول تنظيم العلاقة الجنسية، وهى نظم قديمة مارستها كل المجتمعات الإنسانية لما لتنظيم هذه العلاقة من أهمية كبرى فى الجماعات قديما وحديثا بدائية ومتحضرة، وأشهر هذه النظم نظم الأسرة والزاج والتى تختلف فى تفصيلاتها من مجتمع لآخر ومن وقت لآخر.

وكذلك تعمل للصالح العام والمجموع، وتتمثل هذه النظم فى الوقت الحاضر فى الدولة حيث نجدها مسئولة عن تأمين المجموع ضد العدوان الخارجى والداخلى، وتعمل على نشر العدالة بين الناس وحماية الضعيف من القوى ومعاقبة كل من يعمل على حدوث اضطراب للمجموع. والدولة نظام سياسى يؤدى وظائف داخلية وخارجية للمجتمع، ولا يمكن لغيره من النظم أن يؤديها ولذلك كان نظاما ضروريا لاستمرار كيان المجتمع.

٣ - النظم الدينية:

وتتركز حول العقيدة. وتبدو أهمية هذه النظم فى تنظيم الظواهر التى تتعلق بالعبادة والسحر وطقوس الميلاد والموت والزواج والحروب. والنظم الدينية موجودة فى كل المجتمعات الإنسانية لأنها تسد حاجات اجتماعية هامة، فالدين يدفع الأفراد إلى تغليب مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد، كما يساعد على تكامل شخصية الفرد

وتقوية روحه المعنوية فيدفع عنه الخوف ويحيى فيه الأمل بما يبثه فيه من قوى خارقة تتمثل فى قوة الإله الذى يقدر على مساعدته .

وللنظم الدينية دور هام فى تكامل المجتمع عن طريق شعائره التى تؤدى وظيفة العاطفة الجماعية المشتركة، والتى تذكر الفرد وهو غارق فى حياته المادية بولائه لجماعته ولقيمها .

وهذه النظم هى أكثر النظم الاجتماعية انتشارا وبروزا فلا توجد حضارة تخلو من الأسرة كما لا توجد أية حضارة تخلو من تنظيم اقتصادى، كما نجد أنه للغالبية العظمى من المجتمعات نوعا من الحكومة وعقيدة دينية معينة، وتختلف كل هذه النظم من مجتمع لآخر من ناحية الاتساع ودقة التنظيم. وواضح أن هذه النظم تتركز حول الحاجات الإنسانية الضرورية وهى الغذاء والجنس والعقيدة والأمن.

وتحديدنا لهذه النظم لا يمنع من وجود عدد من النظم الهامة الأخرى ولكنها تأتى فى الأهمية بعد النظم السابقة. ومن أمثلة هذه النظم الأخرى ما يقوم منها على شئون التربية والتعليم والمواصلات والترفيه والفنون والصحة وغيرها مما يحتاج إلية المجتمع، وتشرف الدولة فى المجتمعات الحديثة على أغلب هذه النظم أيضا .

أسئلة تطبيقية

١- تناول بالشرح خصائص وأشكال النظم الاجتماعية؟

٢- تكلم عن النظم الاجتماعية الرئيسية في المجتمع؟

٣- أذكر مفهوم النظم الاجتماعية ؟